مطبوعة محاضرات مقياس القضايا الدولية الراهنة/ موجهة لطلاب السنة الثانية ليسانس/ تخصص علوم اجتماعية
قسم علم الاجتماع / كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة المسيلة 2022/2021 إعداد الدكتور بن جعفر رمضان

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
Mohamed Boudiaf University of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences

المستوى: السنة الثانية ليسانس

التخصص: علوم اجتماعية

قسم: علم الاجتماع

مطبوعة محاضرات

مقياس: القضايا الدولية الراهنة

طبيعة المقياس: سداسي [X]

إعداد الدكتور: بن جعفر رمضان

البريد الالكتروني: (المهني) ramdhane.bendjafer@univ-msila.dz

السنة الجامعية: 2021 - 2022

المحاضرة رقم 10 / الغزو الثقافي والفكري على الأمم [الأمة الإسلامية نموذجا]

10- الغزو الثقافي والفكري على الأمم [الأمة الإسلامية نموذجا]

10-1- تمهيد:

في ظلِّ الانفِتاح الكبير الذي تَشْهَده الدنيا جميعها، وتَتداخَل فيه حضارات الأُمَم وثقافاتهم المتنوِّعة وتصوُّراتهم المختَلِفة عبر تقنيات الاتِّصال الحديثة، وفي خضمِّ الصراع المشتَعِل بين أذناب الغرب، الدَّاعِين للتبعيَّة الفكريَّة للغرب وثقافاته، العامِلين على بثِّ سمومهم في أهل الإسلام، وبين جند الله وحُماة دينِه من أصحاب القضيَّة الإسلاميَّة، المتمسِّكين بمنهجِهم الرباني الأصيل، وفي ظلِّ إعلامٍ تتحكَّم فيه عادةً قُوى خارجيَّةٌ، داعِمَة لغزوها الثقافي للأمَّة الإسلاميَّة، بتشويه تصوُّرات الناس تارَةً، وتزيين بضاعتها الزائفة تارات أخرى.

في وجود كلِّ هذا كان من المؤكَّد أو اللازم على أصحاب القضيَّة الإسلاميَّة معرفة حقيقة هذا الغزو الثقافي والفكري، ووسائل عمله، وأهداف نشره، ثم سبل التصدِّي له.

سؤال افتتاحي/ ماذا يمكن أن يقال عن الغزو الثقافي والفكري؟ الجواب: يمكن القول بأن/

1/ بواعث الغزو الثقافي والفكري لأيِّ أمَّة بشكل عام هي تحقيق هدف عقدي، أو تفوُّق مادي أو أدبي،أو استِئثار بمنافع مُعَيَّنة.

2/ وسائل الغزو الفكري أو الثقافي هي الفكرة، والرأي، والحيلة، والنظريات أو الشبهات، وشدَّة الجدل، وغير ذلك ممَّا يقوم مقامَ السيف في يد الجند، ويتميَّز الغزوُ الثقافي أو الفكري بأنّه مُمتَدٌّ وشامل، فلا يقف عند حَدٍّ، وليس له نهاية.

3/ والمقصود بالغزو الثقافي للأمَّة المسلمة كل الوسائل غير العسكرية التي اتَّخَذَها الغرب لإزالة مَظاهِر الحياة الإسلاميَّة، وصرف نظر المسلمين عن التمسُّك بالإسلام، وبمعنى آخر محو الشخصية الإسلامية تمامًا.

4/ ومن صُوَرِ الغزو الثقافي تغيير مَناهِج التعليم طبقًا لمناهج مستوردة، أو الحيلولة بين الأمَّة وتاريخها وسِيَرِ أسلافها، أو الهيمنة على العادات والأعراف.

5/ والثقافة هي الصورة الحيَّة للأمَّة، ويندَرِج تحتها كلُّ خصائص الأمَّة من مبادئ وأفكار، وتصوُّرات وسلوكيَّات.

6/ وهناك فارق واضِح بين الغزو الثقافي، وبين الاقتِباس النافع من الأُمَم والدُّوَل؛ فالغزو الثقافي يعني تقبُّل كلِّ ما هو دخيل دون نظر لعَواقِبه، أو تَمحِيص لحقائِقِه، أمَّا الاقتِباس النافع، فهو يعني عدم انقِطاع صلتنا بما حولنا، واتِّساع دائرة التعلُّم والفائدة، فهو من باب: (الحكمة ضالَّة المؤمن).

7/ تأتي أهميَّة الحديث عن الغزو الثقافي الغربي للأمَّة الإسلاميَّة، من كونه سلاحَ الغرب المشهور الآن في وجوه أبناء الأمَّة الحريصين على أصالتها وحفظ دينها عليها، فبعد أنْ أَخْفَقَ الغزو العسكري للأمَّة، وثبت للغرب يقينًا أنَّه لا طاقة له بمحاربة المجتمع المؤمن، راحوا يُحارِبون الإيمانَ الذي في صدور الرجال أولاً، واتَّخذوا لهدفهم وسائلَ شتَّى تهدف في جملتها إلى محوِ الدين من المناهج التعليمية، وطمس التاريخ الإسلامي المُشرِق، فينتج عن هذا كلِّه ظهورُ أجيال ستَؤُول لها المسؤولية يومًا فارغة إيمانيًّا وفكريًّا، يَسهُل السيطرة والهيمنة عليها.

8/ ساعَدَ على هذا كلِّه حالةُ التأخُّر الحضاري والتدهور الفكري الذي وصَل له المجتمعُ المسلم، مع الانبِهار بالمظاهر المدنيَّة للغرب ومُبتَكراته الحديثة.

9/ وكان من الآثار السلبية للغزو الثقافي للمجتمع المسلم التشكيكُ في قدرات الإسلام على بناء الحضارة العصريَّة أو المساعدة فيها، والافتِتان بالمناهج الغربية وقوانِينها، ومن ثَمَّ تقليد الغرب واستِعارة نُظُمِهم وسلوكيَّاتهم حتى ولو لم تَتوافَق مع الإسلام وتعاليمه، وأخيرًا تمزيق وحدة المسلمين بتفكيك أواصِر أُخُوَّتِه والبحث عن حضارات مُزَيَّفة نزاعات جاهلية قديمة.

10/ وقد كان للغزو الثقافي صُوَرٌ قديمة في العصور الإسلاميَّة المتقدِّمة، تمثَّلت في انتِشار الأخبار الإسرائيليَّة المُخالِفة لنصوص الكتاب والسنَّة، والتي وضَعَها الزنادِقة والملحِدين بهدف صرف الناس عن الدين الحقِّ.

11/ كما كانت المذاهب البدعيَّة صورة من صُوَر الغزو الثقافي للعالم الإسلامي في القديم، إذ المُتَتبِّع لجذور هذه المذاهب كلِّها يجدها امتِدادًا لمُعتَقدات الفرس والرُّومان وأشباههما، فالرافضة وما انبَثَق منها أو أشبهها من فِرَق ضالَّة إنما هي مجوسيَّة فارسيَّة في أثواب إسلامية في الظاهر، كما أنَّ المذاهب الكلاميَّة الفلسفيَّة إنما هي نِتاج وصنعة الفلاسِفة والملحِدين الأوائل.

12/ وأيضًا فإنَّ الحركة الشعوبيَّة في العصر العباسي وامتِدادها إلى اليوم المتمثِّل في الدعوة إلى القوميَّات هي مَظْهَرٌ من مَظاهِر الغزو الفكري في القديم.

10-2- صُوَر الغزو الثقافي والفكري في العصر الحديث:

10-2-1- التنصير:

لعلَّ من أعظم صُوَرِ الغزو الفكري في العصر الحديث، تَنصِيرَ المسلمين، أو ما يسمَّى بالتبشير، فهو قمَّة الانقِلاب الفكري، والردَّة الكليَّة، وقد أرسى المُنَصِّرون قواعِدَ التبشير بنِظام مَدرُوس منذ زمن بعيد، يَرجِع إلى أَواخِر الحملات الصليبيَّة الخاسِرَة؛ إذ أدركوا أنَّه لا سبيل للسَّيْطَرَة على المُجتَمَعات المسلِمة إلا بقَتْلِ رُوحِ العقيدة في نفوسهم أولاً، وقد استغلَّ المُنَصِّرون في ذلك ضعفَ شَوْكَةِ المسلِمين حتى في بِلادِهم، وفقر أغلبهم، وتقاعُس مَن بيده ما يُقَدِّمه من أبناء الإسلام، أو ممَّن ينتَسِب إليه، مع انتِشار الجهل في كثيرٍ من مُجتَمَعات المسلِمين وهدفهم الأسمى هو(تَنصِير الشعوب المسلمة، بثُّ الشبهات والتصوُّرات الفاسدة، الدَّعوة للشَّهوات، ونشر المُنكَرات)، وقد دخَل المُنَصِّرون في كلِّ مجالات المجتمعات المغزوَّة تقريبًا، وكَثُرَ وجودهم بشكل واسع في مجالات التعليم والجمعيَّات الاجتماعيَّة؛ بل وكان لهم وجود مُستَقِلٌّ سواء على المستوى التعليمي أو المستوى الاجتماعي، يَصِلُون من خلال هذا كلِّه لتَشوِيه فكر المسلم، وتَنشِئَة أجيال بعيدة كلَّ البُعْدِ عن الإسلام وأحكامه.

10-2-2- الاستِشراق:

الاستِشراق هو حركة فكريَّة تُعنَى في الظاهر بدِراسة علم الشرق، الذي يَشمَل دينَه ولغتَه وآدابه، وعاداته وثقافته، لكن دَوافِع المُستَشرِقين لم تكن محصورة في العلم فقط؛ بل لم تَقُمْ حركةُ الاستِشراق إلا لأهدافٍ سياسيَّة دينيَّة تبعث على العبث بالتُّراث الإسلامي والعربي، وتتَّخذ من دراستها أُسُسًا لفَهْمِ واقِع المجتَمَعات المسلِمة وكيفيَّة التوغُّل فيها؛ بغَرَض ضرب الثوابت، وبثِّ الشبهات.

ومن الغزو الثقافي الحديث الحركةُ الصِّهْيَوْنِيَّة، ومخطَّطها التخريبي للمجتمعات الإنسانية كافَّة، والمسلمة خاصَّة؛ باعتبارها أكثر المجتمعات تمسُّكًا بدينها، وباعتِبارها حامِلَة لواء الحقِّ، ويَتَمثَّل الغزو الفكري للحركة الصِّهْيَوْنِيَّة في السَّيْطَرَة الكاملة على الإعلام المُوجَّه لتنفيذ مُخَطَّطاتهم، ونشر الشهوات والمنكَرات في الشعوب؛ لإضعافها وسهولة الهَيْمَنَة عليها.

10-3- مجالات الغزو الثقافي و الفكري: تعدَّدَتْ مَجالات الغزو الثقافي والفكري على الأمَّة الإسلاميَّة أهمِّها:

10-3-1- الغزو الثقافي على التربية والتعليم:

بحيث يَصُوغون الأجيال المسلِمة كما يُرِيدون ويطبعونها بطباعهم، وكانت وَسائل غزوهم للعمليَّة التعليميَّة والتربويَّة متنوِّعة، فعملوا على ترك الدين جانبًا في المدارس والكليَّات، كما توسَّعوا في عمليَّات الابتِعاث للدُّوَل الغربيَّة المُحارِبة للدين لصِناعَتِهم وإعدادهم للقِيادة في مجتمعنا، وإنشاء المدارس الأجنبيَّة، وتشويه التاريخ الإسلامي في المقرَّرات، وإبعاد الطلاَّب عن اللغة العربيَّة التي هي طريق الإسلام.

10-3-2- الغزو الثقافي على الإعلام بأنواعه:

لقد حرَص أعداءُ الأمَّة الإسلاميَّة على الإفادة من وسائل الإعلام في بثِّ غَزْوِهم الثقافي، وفِكْرِهم العَفِن؛ لعلمهم الأكيد بقوَّة تَأثِير هذه الوسائل على الرأي العام ، وقد خلَّف هذا الغزو مَظاهِر شَتَّى، من أهمِّها التناقُض الكامِل لما يعرضه للإسلام وتعاليمه، وضَيَاع الهوِيَّة الإسلاميَّة فيه.

10-3-3- الغزو الثقافي على اللغة العربية والأدب العربي:

عمل الغرب على مُحارَبة اللغة العربية بشَتَّى السُّبُل والطُّرُق؛ وذلك مُحاوَلة منهم لهدمها والنَّيْل منها؛ إذ هي وسيلة التعبير الواضِح للمُعتَقَدات والأفكار والآراء، وكذلك وجَّه أعداء الأمَّة الإسلاميَّة حملة ضخمة نحو الأدب والتُّراث العربي، كان يَقودُها المُستَشرِقون، وينفخ فيها المُنَصِّرون، فعرَضوا الأدب العربي بصورة تقدَح فيه وتُنزِله عن مرتبته الرفيعة بين أدب الأُمَم.

10-3-4- الغزو الثقافي على الحياة الاجتماعيَّة:

الجانِب الاجتماعي هو أخطر التحدِّيات التي تَفرِضها التيَّارات الوافِدة والمُؤَثِّرات الأجنبيَّة، التي ما زالت تعبَث بقِيَم المسلمين وأخلاقهم، وقد ظهر هذا الغزو في تبعيَّة كثيرٍ من المسلمين للغرب بشكل واسِع جدًّا، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: **((لتتَّبِعُنَّ سنَنَ مَن كان قبلكم، شِبرًا بشِبر وذِراعًا بذِراع، حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه))، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((فمَن))؛ أخرجه البخاري ومسلم.**